حَسّان ودَنانيرُ الإحْسان

تأليف: فاضل الكعبي

رسم: سندس الشايبي

ذاتَ صَباحٍ، خَرَجَ العَمُّ «حَسّان» إلى عَمَلِهِ كَالمُعْتاد. هُناك، عَلى رَصيفِ الشّارِعِ القَريبِ مِنْ مُسْتَشْفى المَدينَة، وَقَفَ العَمُّ «حَسّان» مُنْتَظِرًا الحافِلَةَ الَّتي سَيَذْهَبُ فيها إلى عَمَلِه.

فَجْأَةً، اقْتَرَبَ مِنَ العَمِّ «حَسّان» صَبِيٌّ في العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِه. كانَ قَلِقًا، وعَلاماتُ الحُزْنِ والتَّأثُّرِ كانَتْ واضِحَةً عَلى مَلامِحِه.

وعَرَضَ عَلى العَمِّ «حَسّان» بِطاقَتَهُ الشَّخْصِيَّةَ بِكُلِّ بَراءَةٍ، طالِبًا إلَيْهِ المُساعَدةَ قائِلًا: «أرْجوكَ يا عَمّ، خُذْ بِطاقَتي الشَّخْصِيَّةَ هَذِه، وأبْقِها لَدَيْكَ أمانَةً، واعْطِني فَقَط مَبْلَغًا مِنَ المال يَكْفي لِأُجْرَةِ النَّقْلِ مِنْ

هُنا إلى بَيْتِنا الَّذي يَقَعُ عِنْدَ أطْرافِ المَدينَة، فَأنا لا أعْرِفُ أحَدًا هُنا. سَأذْهَبُ وأعودُ بِسُرْعَةٍ، سَأُرْجِعُ إلَيْكَ المَبْلَغ!».

اسْتَغْرَبَ العَمُّ «حَسّان» طَلَبَ الصَّبِيِّ وحالَهُ فَسَأَلَه: «لِماذا تُريدُ الذَّهابَ إلى البَيْتِ والعَوْدَةَ بِسُرْعَةٍ؟ ما الأمْر؟».

أخَذَ الصَّبِيُّ يَبْكي وهُوَ يَرْوي حِكايَتَه: «أُمّي مَريضَةٌ في هَذا المُسْتَشْفى مُنْذُ أيّامٍ، وحالَتُها الآنَ سَيِّئَةٌ. أمَرَنا الطَّبيبُ المُعالِجُ أنْ نُؤَمِّنَ لَها الدَّواءَ سَريعًا مِنْ مَكانٍ آخَر كَوْنَهُ نافِذًا مِنَ المُسْتَشْفى، وعَثَرْتُ عَلَيْهِ في الصَّيْدَلِيَّةِ المُقابِلَةِ لِلمُسْتَشْفى.

إلّا أنَّني لا أحْمِلُ نُقودًا كافِيَةً لِشراءِ هَذا الدَّواء، فَقَرَّرْتُ الذَّهابَ إلى البَيْتِ لِإحْضارِ المَبْلَغِ المَطْلوب. فَأَرْجوكَ ساعِدْني لِأَصِلَ إلى البَيْتِ وأعودَ إلَيكَ سَريعًا».

تَأَثَّرَ العَمُّ «حَسّان» بِما سَمِعَهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّبِيّ، فَعادَ يَسْأَلُهُ ثانِيَةً: «كَمْ يَبْلُغُ ثَمَنُ الدَّواء؟».

دُهِشَ الصَّبِيُّ مِنْ هَذا السُّؤال، وأجاب: «أرْجوكَ يا سَيِّدي، أنا لا أطْلُبُ إلَيْكَ سِوى أُجْرَةِ النَّقْل، خَمْسينَ دينارًا فَقَط، أمّا ثَمَنُ الدَّواءِ فَهْوَ مَبلَغٌ كَبيرٌ!».

ـ لا عَلَيْكَ يا بُنَيّ! كَمِ المَبلَغ؟

ـ طَلَبَ إلَيَّ الصَّيْدَلِيُّ ألْفَ دينارٍ ثَمَنَ الدَّواء!

ابْتَسَمَ العَمُّ «حَسّان»، وأخْرَجَ ما في جَيْبِهِ مِنْ نُقودٍ، واطْمَأنَّ لِأنَّها كانَتْ تَكْفي لِسَدِّ حاجَةِ الصَّبِيّ.

فَأعْطاهُ ألْفَ دينارٍ، وقالَ لَه: «خُذْ هَذا المَبْلَغ، وأسْرِعْ إلى الصَّيْدَلِيَّةِ حالًا واَشْتَرِ الدَّواءَ لِأمِّكَ».

وَقَفَ الصَّبِيُّ مُسْتَغْرِبًا، وهُوَ يَنْظُرُ بِإعْجابٍ إلى العَمِّ «حَسّان» وقالَ لَه: «خُذْ يا عَمّي، هَذِهِ بِطاقَتي الشَّخْصِيَّة، أبْقِها لَدَيْكَ حَتّى أُرْجِعَ إلَيْكَ المَبْلَغ!».

فَأجابَهُ العَمُّ «حَسّان»: اِذْهَبْ يا بُنَيّ! لا أحْتاجُ إلى هَذِهِ البِطاقَة. أمّا المالُ فَأنا أُنْفِقُهُ إكْرامًا لَكَ ولِأُمِّكَ، وأتَمَنّى أنْ تَخْرُجَ مِنَ المُسْتَشْفى بِالسَّلامَة».

أسْرَعَ الصَّبِيُّ إلى الصَّيْدَلِيَّةِ بَعْدَما وَدَّعَ العَمَّ «حَسّان» الطَّيِّب.

في هَذِهِ الأثْناء، وَصَلَتِ الحافِلَةُ الَّتي كانَ العَمُّ «حَسّان» يَنْتَظِرُها. وما إنْ وَصَلَ إلى عَمَلِه، حَتّى وَجَدَ مَفاجَأةً سارَّةً تَنْتَظِرُه، إذْ قالَ لَهُ

مُديرُه: «قَرَّرَ المُديرُ العامُّ مَنْحَكَ مُكافَأةً مالِيَّةً قَدْرُها خَمْسَةُ آلافِ دينارٍ، لِإخْلاصِكَ الدّائِمِ في عَمَلِكَ!».

ابْتَسَمَ العَمُّ «حَسّان»، وتَذَكَّرَ ما قامَ بِهِ مِنْ إحْسانٍ، وقَدْ كانَ فَرِحًا بِما أنْفَقَهُ وبِما حَصَلَ عَلَيْه!